الدلالات الأنثروبولوجية للرموز المعمارية الخاصة بالمنازل الأثرية المحفورة تحت الأرض بمدينة مطماطة بتونس

أ. أحمد إبراهيم عبد العزيز(*)

أ.د سعد بركة (**) أ.د سلوى درويش(**) د. محمد عبدالراضى (***)

• **مُلخص:**

تتناول هذه الدراسة الرموز المعمارية فى عمارة مطماطة الأثرية بالجنوب الشرقى التونسى كظاهرة ثقافية وفنية منتشرة بشكل متكرر ولافت للنظر فى منازل تقليدية حفرت بأحشاء الأرض وحملت معها دلالات ثقافية عن الفكر الأمازيغى الذى كان وما زال يعتمد على الرمز فى التعبير عن ثقافته ومخاوفه ومعتقداته الضاربة فى عمق الزمان والمكان.ولقد تناول البحث عناصر المشكلة البحثية من حيثأهمية وإيكولوجيا الرموز المعمارية وخصائصها فى الثقافة الأمازيغية علاوة على جمع وتفسير لكافة الرموز المعمارية بمنازل باطن الأرض بمطماطة. واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخى ومنهج الأنثروبولوجيا المرئية وكذلك كان التوجه النظرى للدراسة معتمدا على النظرية الرمزية فى تناوله لإشكالية الدراسة. توصلت الدراسة إلى توضيح أهمية تلك الرموز فى الكشف عن بعض ملامح الثقافة الأمازيغية المنتجة لها ومدى إرتباطها بالنظم الاجتماعية والعقائدية وأهميتها فى التوثيق لمراحل التطور الاجتماعى والثقافى فى مجتمع الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الدلالات الأنثروبولوجية، منازل مطماطة، الرموز المعمارية

(*) باحث دكتوراه بقسم الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية العليا– جامعة القاهرة

(**) أستاذ الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

(***) أستاذ الأنثروبولوجيا بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

(****) أستاذ الأنثروبولوجيا المساعد بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

The Anthropological Semantics in Archaeological Matmata Houses Excavated under the Ground

Ahmed Ibrahim Abdelaziz

Prof. Dr. Salwa Darwesh **Prof. Dr. Saad Baraka**

Dr. Mohamed Abdelrady

- **Abstract**

This research deals with the architectural symbols in the ancient houses of Matmata in south- eastern,Tunisia as a cultural and artistic phenomenon spread frequently and strikingly houses dud in the bowels the earth and it carried with it cultural connotations of the Amazigh thought, which was and stillrelies on thesymbols to express its culture, its fears and its beliefs striking in the depth oftime and place.and this research addressed various elements in dealing with the research problem, such as:

1- The importance and ecology of Architectural symbols.

1- Characteristics of architectural symbols.

2- Collection and interpretation of all architectural symbols in underground houses in Matmata.

The study relied on the historical approach and visual anthropology approach, as well as the theoretical orientation of the study based on the symbolic theory indealing with the problem of the study.

Keywords: Anthropological semantics, Matmatahouses, architectural symbols

- **مقدمة:**

غالباً ما ينظر إلى العمارة باعتبارها لغة تعبير وتخاطب وذلك لأنها تشتمل على مفردات خاصة تميزها كنظام لغوى قائم بذاته والتى تستمد روحها وقيمها من الثقافة نفسها والتى تتأصل من خلال نوع الاستعمال والعلاقات التى تربطها بالرموز الثقافية، وإن الاستراتيجيات اللغوية المقروءة من النص الرمزى وما يحمله من دلالات مشفرة تعمل على إطلاق حرية المتلقى للمشاركة والتفكير فى تفسير المعنى.ويكاد يتفق المعماريون على أن العمارة الجيدة هى ما تثير الحواس سواءاً المباشرة من خلال الشكل والتصميم أو غير المباشرة من خلال الغموض الذى يمكن أن تثيره عناصر آخرى كالرمز واللون والتى تحرك مكامن شعورية مختلفة فى النفس البشرية.وإنه من الصعب الفصل بين العمل المعمارى ووظيفته العملية والرمزية وذلك لأن الإنسان يتعامل مع العمارة باعتبارها وسيلة اتصال فالمنزل مثلاً لا يمكن أن يكون مجرد مأوى للحماية من العوامل الإيكولوجية التى لا يقوى الإنسان على مواجهتها وحسب ولكنه يعتبر خازناً للثقافة البشرية التى أنتجته بما يحويه من جملة التعبيرات الرمزية المعقدة التى تلبى عدداً من الحاجات النفسية للإنسان. وإن الرموز المعمارية تعد من حاجات الإنسان لتحقيق التفاعل الاجتماعى من خلال النص المعمارى المفعم بالعواطف والمشاعر والأحاسيس ذات البعد الابداعى.

يمكن فهم طبيعة الرموز فى العمارة من خلال استيعاب عملية التفاعل التى تتم بين الشكل المادى ومدلولاته الاجتماعية بما تفرزه من معانى عامة تتفق عليها الثقافة المنتجة له.

تعتبر المنازل التقليدية تحت الأرض فى الجنوب الشرقى التونسى بما تحمله من رموز دالة على الهوية والتى كانت وسيلة تواصل ونقل للمعلومات الخاصة بالثقافة الأمازيغية وهى تشير إلى ماهية الدلالات المرئية كما تسمح فى نفس الوقت بقراءة متعددة تفرق فيها بين المادى واللامادى ويمكنها كذلك أن تؤمن حالة طمأنينة لهوية الفرد عن طريق ربط هذه الهوية بشئ مادى ثابت وقائم نسبياً.

وبالتالى تصبح تلك الفضاءات المعمارية قادرة على اختزال الرموز الثقافية للمجموعات البشرية وتقاليدها ومهاراتها المعرفية من خلال لغة تعتمد على التجريد والمجاز المتجسدة فى المنظومة الرمزية التى تتناقلها المجتمعات تباعاً والتى بدورها تشكل المخزون الثقافى لتلك الجماعات والمجتمعات الإنسانية. وإن التحولات الثقافية التى تحدث فى المجتمعات عبر سيرورة الزمن تؤدى بلا شك إلى تغيير الصور الرمزية الخاصة بتقاليد الفرد والمجتمع والتى غالباً ما ترتبط بالبيئة الإيكولوجية التى تمتلك عدداً كبيراً من الرموز والتى يعبر الفرد من خلالها عن الانتماء إلى المكان.

بصفة عامة يمكن النظر إلى الرموز المعمارية بعمارة باطن الأرض بمطماطة على أنها أنماط تواصلية تشترك جميعها فى الآليات والأهداف والتى تتيح قراءة التاريخ الاجتماعى والثقافى للمجتمع الأمازيغى عبر حركة الزمان والمكان.

أولاً: إشكالية الدراسة

تبرز المشكلة البحثية فى انتشار الرموز المعمارية بكثافة داخل فراغات منازل مطماطة الأثرية تحت الأرض بالجنوب الشرقى التونسى وخاصة فوق جدران ومداخل بل وأماكن نوم الإنسان الأمازيغى الذى لطالما سكن الجبال وحفر مأواه بأحشاء الأرض وذلك لأسباب إيكولوجية وسياسية وعاش فى منازل متكيفة بيئياً قى درجات حرارة ثابتة طوال العام والتى تتراوح ما بين 21–23 درجة مئوية بشكل وفرت له الراحة الحرارية وكذلك حافظت على مفردات تلك الثقافة العرقية لقرون عديدة.

ثانياً: أهمية الدراسة

تنقسم أهمية الدراسة إلى

أهمية نظرية:

- تجميع الرموز المعمارية الأمازيغية وحفظها من الضياع وخاصة بعد البدء فى ترميم تلك المنازل وإعادة توظيفها وطمس تلك الرموز المرتبطة بالثقافة الأمازيغية عبر سيرورة الزمن.

أهمية تطبيقية وتتمثل فى:

- مساعدة صانع القرار بالمجتمع التونسى من خلال تشريح المنظومة الرمزية فى التعرف على نفسية وثقافة الإنسان الأمازيغى والذى يعانى من مشكلات تتعلق بالعزلة والتمحور حول العرقية الخاصة كأحد التحديات القائمة بالمجتمع.

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع:

لقد كان من أسباب اختيار هذا الموضوع للدراسة هو:

1- انتشار الرموز المعمارية بكثافة داخل كل المنازل المحفورة بباطن الأرض بمطماطة بالجنوب الشرقى التونسى.

2- تنامى المشكلة الأمازيغية بالشمال الإفريقى حيث ينادون بضرورة اعتراف الدول التى ينتمون إليها بالهوية واللغة الأمازيغية.

رابعاً: أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الراهنة إلى:

1- وتهدف الدراسة إلى محاولة فهم المجتمع الأمازيغى التقليدى من خلال تشريح الفكر المعمارى والمنظومة الرمزية المتجسدة داخل مجتمع كامل كان ولا يزال يمارس الفعل الرمزى للتعبير عن قيم ومعتقدات ضاربة فى عمق الزمان والمكان.

2- وكذلك تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على تأثير العزلة المجتمعية التى فرضتها ظروف الإقامة تحت الأرض لسنوات عديدة على أمازيغ مطماطة بالجنوب التونسى.

خامساً: تساولات الدراسة

تسعى الدراسة الراهنة إلى الإجابة على التساؤلات التالية:

1- هل هناك ثمة علاقة بين الرموز المعمارية بمنازل باطن الأرض والمنظومة الثقافية للأمازيغ بالجنوب التونسى؟

2- هل يمكن للمنظومة الرمزية أن تفسر بعض السلوكيات والجوانب الخفية فى الشخصية الأمازيغية كمنطلقات للتفاهم مع الأقليات العرقية؟

سادساً: التوجه النظرى للدراسة

تعتمد الدراسة على النظرية الرمزية لتفسير انتشار تلك الرموز المعمارية فى مجتمع كامل كان يقيم بباطن الأرض لقرون عديدة وفى منازل حفرت بأحشاء الأرض والتى وصلت أعدادها لحوالى 1300منزلاً بمجتمع الدراسة.

سابعاً: منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخى ومنهج الأنثروبولوجيا المرئية فى تحليل تلك الظاهرة بمجتمع الدراسة.

ثامناً: مجالات الدراسة

المجال المكانى:

حيث تقوم الدراسة الدراسة بتشريح الرموز المعمارية المنتشرة داخل منازل مدينة مطماطة المحفورة تحت الأرض بالجنوب الشرقى التونسى.

المجال الزمانى:

تعتمد الدراسة على تتبع تلك الرموز من تاريخ إنشائها منذ أربعمائة عام أو يزيد وحتى اليوم.

تاسعاً: الرمز والعمارة ما بين الأهمية والإيكزلزجية

غالباً ما يصعب الفصل بين العمل المعمارى ووظيفته النفعية والرمزية فالإنسان يتعامل مع العمارة على أنها وسيلة اتصال تحتوى على جملة من القيم الرمزية المعقدة التى تشبع عدداً من الحاجات النفسية للإنسان.

لقد أكد" روبرت فنتورى" Robert Venturi على أهمية القيم الرمزية فى العمارة حيث أشار إلى أن الأشكال المعمارية لا يمكن أن تتشكل بدون معانى رمزية تكون مرتبطة وملتصقة بها والتى غالباً ما تنطلق من شخصية صاحب المنزل وهو ما قد يشير إلى فكرة الجمال الحسى المعنوى والجمال المعمارى الفيزيقى وأكد على ذلك بقوله" إن العمل المعمارى يجب أن يكون بمثابة الرمز فى الفراغ لأن خلو العمارة من

الرموز يجعلها مجرد أشكال فيزيقية جامدة تكون خاضعة لسطوة الوظيفة المجردة التى لا روح فيها ولا حياة" (Venturi, R., Brown, D., Izenour, S,1965, p:189).

(1) تعريف الرمز:

لا شك أن الرمز Symbol قد عرف منذ زمن بعيد عند الكثير من الحضارات عبر سيرورة الزمن، وتعرف الرمزية Symbolism بأنها الإشارة إلى معنى أو شيئ باستخدام ما يدل ودائماً ما يحتاج الرمز إلى أن يتشكل فى صورة عليه فيزيقية لإيصال المعنى المراد للمتلقى أو المتعامل مع الرموز بسهولة(Webster, 2004, p:136).

الرمز هو الدلالة على ما وراء المعنى الظاهرى وهو كذلك كل إشارة أو علاقة محسوسة تذكر بشيئ غير حاضر بهدف إيصال بعض المفاهيم بأسلوب غير مباشر للتعبير عن واقع انفعالى شديد التعقيد، وهو كذلك نظام معقد من العلاقات والتى تمثل بناءاً آخراً قد يكون ملموساً أو غير ملموس والذى يمكن إدراكه بصورة مباشرة من قبل المتعاملين معه أو الناظرين إليه وذلك من خلال تشابه الخصائص بين الرمز وما يدل عليه(نصار، 2007 ص123).

بينما ينظر المفكر والفيلسوف" كانط" Immanuel Kant إلى الرمز باعتباره تمثيلاً من الخيال يتطلب الكثير من الفكرفى حين يذكر" دوركايم" David Emile Durkheim أن فهم الرمز يتطلب التعامل الواعى بين الشكل المادى والمدلولات الاعتبارية الجمعية المرتبطة به.ويذهب" بودلير" Charles Baudelaire إلى اعتبار أن كل ما يدور فى الكون وكل ما يقع فى متناول الحواس هو رمز يستمد قيمته من رصد وملاحظة ما بين معطيات الحواس المختلفة من علامات(زين العابدين، 2016 ص20).

أكد العديد من منظرى وعلماء العمارة مثل" فيتروفيوس الرومانى "MarcusVitruvius Pollio صاحب أول نظرية مكتوبة فى العمارة على أهمية البعد الرمزى وأشار إلى أن النماذج المعمارية يجب أن لا تخلو من مثيرات الحواس المباشرة كالشكل والتصميم أو الآخرى الرمزية كالزخارف والرسوم وإن الأشكال

المورفولوجية للعمارة تشبه فى كثير من تفاصيلها الملامحالبشرية فكما أنه لا يمكن النظر إلى وجه الإنسان بعيداً عن شخصيته العامة كذلك العمل المعمارى يمثل شكلاً فيزيقياً ذو شخصية ومدلولات اعتبارية يكون الرمز فيها معبراً عن ذات ومعنى والذى يرتبط بدوره بالبيئة الثقافية المنتجه له(Pollio, 2013, p:20).

وقد ورد فى المعجم الفلسفى" لأندريه لالاند" Andre Lalande تعريف الرمز بأنه كل علاقة فيزيقية يمكنها أن توحى بمعان خاصة بمقتضى علاقة طبيعية بشيئ غالب ولا يمكن إدراكه حسياً كالصولجان رمز الملكية.والرمز منالناحية الاشتقاقية هو إشارة تعارف بين شطرين متممين لشيئ واحد وهو يمكن أن يصف سمة أو معنى مجرد أو شيئاً أو شخصاً أو قصة تمثل النصف الآخر بمقتضى تشابه جوهرى أو اتفاق عرفى(إيكو، 2005. ص406).

الدلالات الرمزية هى عبارة عن رسائل مشفرة مفعمة بالمعانى والتى تتشكل عبر مفردات بنائية أو شكلية حيث يتم التعامل معها وفق مفاهيم مشتركة فالأشكال والألوان والفراغات تحمل فى طياتها إشارات رمزية ترتبط بالقيم الفنية والثقافية والطريقة التى بها تصاغ.

يؤكد" إيميل دوركايم" David Emile Durkheim على أن الرموز ليست مجرد أدوات للتعبير عنالانفعالات والثقافة الكلية وحسب وإنما ينظر إليها باعتبارها ضرورة لنشوء الوعى الجمعى مما يجعلها عاملاً رئيسياً فى خلق وتأسيس هذه الاعتبارات، ويمثل الرمز مجموعة من الأفكار والتصورات التى تعبر عن فهم الإنسان للطبيعة والذات وذلك ضمن قوانين اجتماعية وثقافية خاصة.ولهذا فإن الرمز فى حقيقته يعتبر ترجمة حقيقية لعلاقة التفاعل الاجتماعى بين الظاهر والباطن أو بين الواقع والخيال(Dorkheim 1971, p: 96).

(2) خصائص الرمز فى العمارة:

العمارة كلغة تتكون من مجموعة من الرموز الحاوية لمجموعة المعانى المستمدة من الثقافة ذاتها والتى يتم تأكيدها من خلال نوع الاستعمال للرمز والعلاقات التى تربطه

بالرموز والعناصر الآخرى وغالباً ما تمتلك تلك الرموز دلالات مقروءة يمكن أن تشير إلى المجتمعات الإنسانية المنتجة لها(Jenks, 1993, p:72).

ولكى يتم تفسير هذه الرموز يجب أن تكون ضمن السياق الاجتماعى والثقافى والفهم العميق لمعانى تلك المفردات الرمزية انطلاقاً من دراسة البيئة وتحليل علاقات الرموز وإن الأثر الدلالى لتلك للأشكال لا يتم التعرف عليه إلا عن طريق المعرفة التاريخية ضمن الفكرة العامة للعمارة(الجادرجى، 1985ص90).

للرمز فى العمارة عدة خصائص منها:-

1-يعبر الرمز عن حدث أو فعل معين يرتبط بالصورة الذهنية للمجتمع وبذاكرته الجمعية.

2- يرتكز الرمز غالباً على الخلفية الثقافية للفرد المتلقى وكذلك على المجتمع الذى ينتج ويحمل المعنى.

3- يتصل الرمز بالعمق التاريخى لبنية المجتمع حيث يتفاعلان معاً بصورة إيجابية.

4- عدم تماثل الرمز والمرموز إليه فى الشكل أو الصورة وإنما يكون ذلك التطابق من خلال المعنى المتشكل فى الرمز.

5- عدم ارتباط الرمز والمرموز إليه بعلاقة سببية محددة وإنما تكون عن طريق علاقة معللة اجتماعياً.

6- تمثل الرموز لغة مشفرة ولكنها تكون مقروءة بحيث يمكن تفسيرها وإعطائها معنى.

7- لا يكون الارتباط غالباً بين الرمز والمرموز إليه عن طريق عملية التلازم وإنما يعتمد على فكرة الحضور للرمز وتأويل المعنى إلى ما يحمله ذهن المتلقى(بطران، 2015 ص14).

تنقسم العمارة ضمن النظام الرمزى إلى مستويات ثلاث هى:

- مستوى المعانى الدلالية Semantic Meanings.
- مستوى المعانى التركيبية Synthetic Meanings.
- العملية البراجماتية النفعية Pragmatic Technical.

فى الحقيقة فإن الرمز المعماريعتبر وثيقة تاريخية بالغة الدقة تماماً مثل الكتابة والتى تعطى العمارة أبعاداً دلالية وأدواراً آخرى فى حياة الجماعات والمجتمعات الإنسانية وهو فى ذات الوقت لا يمكنه أن يكون مستقلاً فى وجوده الفيزيقى عن محيطه الإيكولوجى والثقافى والاجتماعى(هال، 2007 ص23).

يؤكد" جون رسكن" John Ruskin على أن العمارة تعتبر من أكثر الفنون كمالاً ونبلاً وهى فى ذات الوقت تحوى بين جنباتها جملة من القيم الرمزية بعيداً عن أدوارها الوظيفية حيث لا يمكن اعتبار الرمزية فى العمارة هدفاً لذاتها وإنما تكون بمثابة اللغة المشفرة التى تعتبر من وسائل تدوين التاريخ الثقافى والفنى والتى دائماً ما تخضع لمؤثرات طبيعية مختلفة "مادية، دينية، ميثولوجية، اجتماعية وثقافية".وغالباً ما ترتبط الرموز المعمارية بالظواهر والطقوس والتى تكتسب من خلال الممارسة أبعاداً ثقافية وأنثروبولوجية وتعطيها قيماً آخرى بعيداً عن بعدها الوظيفى لأنها تتواصل مع الآخر عن طريق الإيحاءات واستدعاء المعانى ولذا يمكن دراسة الأشكال الفيزيقية للعمارة من خلال التناغم بين الرمز والوظيفة(صدار، 2011 ص127).

تنقسم اللغة فى العمل المعمارى إلى ثلاثة أشكال هى:

1- الشكل الوظيفى:- وهو يعتبر مقصد البناء وغاية البقاء والذى يرتبط بالحاجة والوظيفة والاستعمال.

2- الشكل المورفولوجى: والذى ينطلق من إيكولوجيا المكان الملهم لتصميم المنشأة المعمارية وتشكلها فى صورة لا تنفصل عن التمثلات التى يحملها المتلقى عن بعدها المكانى.

3- الشكل الرمزى: والذى يشكل المفهوم الجمعى لثقافة البناء فى إطار لغة معمارية تتواصل من خلالها الأجيال وترتبط بطرزها المعمارية والتى تعتبر مرآة للموروث الشعبى وللثقافة الحاضرة(حمودة، 1998ص53).

(3) إيكولوجيا الرمز فى العمارة:

من المعروف أن لكل منظومة ثقافية نظامها الرمزى والذى يكون ناتجاً عن السلوك الاجتماعى والثقافى للأفراد وإن هذا النظام الرمزى وما يحمله من جملة المعانى المرتبطة بنظم المجتمع والتى تتشكل فى الصور الفيزيقية للعمارة يعكس العمليات العقلية الداخلية والقيم العاطفية التى يراد نقلها للآخرين من خلال أدوات ومواد التعبير المختلفة. ويذكر" كونفيشيوس" Confucius فى القرن الخامس قبل الميلاد بأن العلامات والرموز هى ما تحكم العالم وليست الكلمات والقوانين وإن الأشكال والألوان قد لا يكون لها معنى فى حد ذاتها ولكنها قد تكتسبه من خلال ارتباطها بالإنسان وبمنظومته القيمية والثقافية، وتمتلك البيئات الإيكولوجية عدداً لا حصر له من الرموز المرتبطة بالإنسان والذى يعبر بها عن مدى ارتباطه بالمكان والتى ربما تتمثل فى صورة معالجات معمارية ومواد بناء ورسوم وألوان ومنظومة رمزية أشبه بالتعاويذ السحرية(الحيدرى، 1996ص33).

تتميز الرموز فى العمارة بأنها دينامية وذلك لأن مرجعياتها الثقافية ذاتها تتبدل بمرور الوقت بفعل عوامل مختلفة وبالتالى تتغير معها الصور الرمزية للمكان، ويكاد لا تخلو المجتمعات البشرية قاطبة من جملة من الرموز التى يعبر بها الإنسان عن ارتباطه بالبيئة الثقافية والإيكولوجية والتى تتجسد فى صورة لغة مشتركة معلومة المعنى والدلالة ويتفق عليها أبناء الثقافة الواحدة.

يمكن من خلال تحليل المخرجات المعمارية للجماعات والمجتمعات الإنسانية أن يتم رصد مجموعة المتغيرات الثقافية والتى تبدو من خلال تطور الرموز المتجسدة فوق الأسطح المعمارية بما تحمله من دلالات حيث يعتبر الرمز فى البيئة المكانية من الوسائل المهمة فى التأكيد على الإحساس البشرى وإزكاء روح الهوية والانتماء إلى المجتمع والمكان(Mallgrve, 2011, p:103).

ولا يمكن للبيئة المكانية أن تكون مألوفة بالنسبة للمتلقى ما لم توفر جملة من المتطلبات والحاجات المتعلقة بسيكولوجية إدراكها من خلال تجسيدها لمعانى اقترانية

ترتبط بالصور الذهنية القادرة على إثارة التعامل الإيجابى بين الأشكال المعمارية الفيزيقية وبين المتعاملين معها والتى يجب أن تكون متسقة مع خصوصية البيئة الثقافية. وهكذا فإن الأبعادالرمزية للأشكال الفيزيقية فى محيطها العمرانى وارتباطها الوثيق بالبيئة الإيكولوجية والثقافية للأفراد الفاعلين والتى تصبح فيها التصميمات المعمارية عبارة عن فراغات محددة بطاقة كامنة يمكنها أن تكون عنصراً رابطاً وجامعاً للأشياء ويصبح فيها الرمز معبراً عن سياقات ثقافية دالة عن الموروث الثقافى المرتبط بالمكان(Sitte, 2013, p:112).

عاشراً: القيم الرمزية فى عمارة مطماطة التقليدية:

يمكن إجمال أهمية الرموز المعمارية فى:-

1- يشكل الرمز أحد الاستراتيجيات فى اللغة المعمارية.

2- غالباً ما تحتوى الرموز المعمارية على نصوص يمكن قراءتها وإعطاءها معنى والذى ينطلق من الدوافع والمرجعيات الثقافية للأفراد الفاعلين.

3- يتميز الرمز باعتباره أحد أدوات التفاعل الاجتماعى نتيجة انفتاحه أمام فعل التأويل والذى يجعل من الصور المعمارية وثائقاً مقروءة يمكن تفسيرها من خلال محيطها الثقافى والاجتماعى.

4- تعتبر الرموز من أشكال التعبير عن الهوية الثقافية للأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية حيث يمكن النظر إليها باعتبارها وسيلة للتواصل مع الآخر والتى تحقق حالة من الطمأنينة والاستقرار لهوية الفرد عن طريق ربطها بشيء مادى ثابت وملموس(الجادرجى، 1995ص347).

5- تمثل الرمزية فى العمارة أحد أهم وظائف العمل المعمارى والتى يسميها المعمارى العراقى "رفعت الجادرجى" الوظيفة الرمزية The Symbolic Function والتى تشكل حاجة مهمة تشبع متطلبات هوية الفرد والجماعة.

6- ينظر إلى النص المعمارى الرمزى باعتباره تعبيراً لغوياً ذو حالة متغيرة وغير ثابتة والتى تثير جملة من التساؤلاتوالتى حتماً سوف تتجه إلى الجماعة بهدف إيجاد تفسيرات تنطلق من الموروث الثقافى للمجتمع المنتمية إلية.

7- تشكل الرموز نصوصاً مقروءة يمكنها أن تساعد على تثبيت القيم المختلفة المرتبطة بأشكالها الفيزيقية والتى يمكن تفسيرها وصياغتها فى كليات ثقافية جامعة((Jenks, 1993.p: 347

8- تعتبر الأشكال الرمزية ممارسات دالة على أنساق الثقافة المنتجة لها وهو ما يقود إلى ضرورة النظر إلى العلاقات القائمة بين مختلف الأشكال الرمزية داخل نسق الثقافة.

9- لا يمكن اعتبار الصور الرمزية فى العمارة أشكالا تعبيرية وحسب وإنما هى فى الأساس عبارة عن عمليات ثقافية تنتج الاستعارات التى تحمل روح المكان وتصيغ المعنى المراد إيصاله للأجيال المتعاقبة.

10- كذلك يمكن من خلال دراسة هذا النمط من التعبير الرمزى فى العمارة وتحديد خواصه المشتركة وتبايناته الداخلية أن يؤدى إلى تكوين صورة ذهنية عن النسق الثقافى بمعناه الشمولى عند كافة المجتمعات الإنسانية.

لذا فإنه من الأهمية بمكان عند دراسة المخرجات المعمارية للجماعات والمجتمعات الإنسانية تسليط الضوء على كافة رموزها المتجسدة فوق اسطحها وبين أروقتها لأنها وبلا شك تحمل الجين الثقافى الموروث لتلك الجماعات البشرية وبصورة يمكن من خلالها قراءة المنظومات الثقافية والاجتماعية والدينية لمنتجيها ومبدعيها وبطريقة قد تساهم فى تفسير سلوكها المعمارى(Gharibpour, 2012, p:186).

1- الرموز المعمارية الأمازيغية:

يذكر المؤرخ" دوتى" Edmond Dooutte أن الأمازيغ مثل باقى الشعوب البدائية كان لهم معتقداتهم الدينية والوثنية الخاصة بهم كالطقوس السحرية التى تعبر عن تفكيرهم الأسطورى المرتبط بالطبيعة بشكل وثيق والذى يقوم على الإحيائية والأنسنة

والتجسيد، وكذلك فقد عرفوا باهتمامهم الكبير بالشعائرالتعبدية وتقديم القرابين المقدسة وظلت تلك الممارسات باقية تتوارثها الأجيال حتى فى حال التحولات العقائدية حيث أن بقاء الطقس وثباته كان يعتبر من الإيمان بعلة البقاء وهو ما شكل مظهراً لمدى تأثير المعتقدات المتوارثة على الثقافة الجمعية(دوتى، 2008ص415).

من المعروف أنالإنسان الأمازيغى كان يمارس شعائره الدينية الأسطورية عبر طقس السحر وتقديم القرابين والاعتقاد فى الجن والقوى الغيبية الخارقة، وفى هذا السياق يقول الباحث الأسبانى" غريلى" Ghrili إن كل المعتقدات التى تبناها البربر تباعاً لم تتمكن من تحطيم عمقهم الدينى البدائى والذى استمر لمئات السنين وما زالت بقاياه قائمة حتى الآن. ويذكر" الحسن بن الوزان الفاسى" والملقب ب" ليون الإفريقى" فى كتابه "وصف إفريقيا" أن الأمازيغ القدامى كانوا وثنيين على غرار الفرس الذين عبدوا الشمس والنار كما عبد بعضهم الكواكب مثل أمازيغ نوميديا وليبيا(ليون الإفريقى. 1983ص67). ويشير الباحث" إبراهيم حركات" إلى أن المعتقدات الدينية للأمازيغ كانت تعظم ظواهر الطبيعة وأنهم دائماً ما لجأوا إلى حماية مزارعهم ومواشيهم بالوسائل الروحية التى اهتدوا إليها حيث آمنوا بقدرة الجن على إيذائهم واعتقدوا بوجودهم فى الأشجار والأحجار والكهوف. ونظراً لسكن الأمازيغ منطقة" تامازغا" أو ما يسمى بالشمال الإفريقى المحاذى للبحر المتوسط فقد حدث تأثير متبادل مع ديانات الشعوب المجاورة مثل المعتقدات الفارسية والفينيقية والمصرية القديمة واليونانية والرومانية(حركات، 2009 ص16).

لقد أكد على ذلك ابن خلدون فى كتابه" ديوان المبتدأ والخبر" حيث أشار إلى أن الأمازيغ قد اتبعوا معتقدات المجوس شأن كل الأعاجم فى المشرق والمغرب إلا فى بعض الحالات التى كانوا يدينون فيها بدين من غلب عليهم من الأمم (ابن خلدون، 2000ص139).

تتعدد أغراض الرموز المعمارية المرسومة فوق جدران أحواش الحفر ما بين الدلالات الدينية والمعتقدات الشعبية القديمة والتى تؤمن بقدرة تلك الرموز فى إبعاد الأرواح الشريرة ودفع العين والحسد وجلب الحظ السعيد أو ربما تستخدم للإشارة إلى

الموروث الثقافى والتقاليد المحلية والتى تشكل هوية المجتمع المنتمية إليه. وتستمد تلك الرموز قوتها وزخم وجودها من تاريخ عريق ممتد من العصر الحجرى الحديث مروراً بالتأثر بثقافات مختلفة وأمم شتى تركت بصماتها الثقافية بفعل التثاقف العفوى أو الموجه من خلال الاحتلال العسكرى والذى أحدث تغيرات ثقافية فى الفكر الأمازيغى عبر عصوره الطويلة(Besancenot, 1990, p:72).

غالباً ما تتصل الرموز الأمازيغية بالمقدس والذى يمكن قراءة تاريخ تطوره من خلال دراسة تلك الرموز والتى تنوعت ما بين" قرص الشمس– قرون الحمل أو الكبش– النجم" والتى ظلت باقية تتوارثها الأجيال وربما أزيح بعضها بفعل التحولات العقائدية وحلت مكانها آخرى تنطلق من ديانات التوحيد السماوية.

2– الرموز الشعبية بمنازل الحفر بمطماطة:

الرموز الأمازيغية فى العمارة هى مجموعة من العلاقات والأشكال التى تتمتع بلغة فريدة وبسياقات دالة عن ثقافة كانت سائدة منذ زمن بعيد وإن تتبع تلك الأشكال يمكن أن يساعد فى تكوين أركيولوجيا معرفية عن ماضى وحاضر الأمازيغ فى أوجهه المتعددة، والرموز الأمازيغية المتشكلة على جدران منازل مطماطة الأثرية وفوق مداخل الغرف تعبر عن الهوية الأمازيغية التى تستقى مضمونها ومعانيها من الثقافة الأمازيغية المتوارثة عبر سيرورة الزمان والتى تعتير من الأهمية بمكان فى المحافظة على استمرارية تلك الهوية فهى تعبر عن روح تلك الجماعة العرقية والتى انتقلت ببساطة وعفوية من جيل لآخر سواءاً عن طريق المشافهة أو المحاكاة والتقليد(كناغة، 2011ص35).

تتنوع تلك الرموز فى الثقافة الأمازيغية ما بين الكتابة والرسوم أو الشارات المعدنية كالحديد أو الحيوانية كقرون الكبش وغالباً ما توجد تلك الرسوم فى باطن تبة الغرف أو فوق أقواس الأبواب وتكاد تنحصر فى الرسوم المستقاة من الثقافة الأمازيغية والتى تشير إلى المعتقدات الشعبية كالمثلثات وكف اليد أو الخميسة أو النجوم والسمكة. وعموماً فإن منازل مطماطة هى عمارة تقليدية شعبية أساسها الإبداع البشرى المنطلق من العفوية الممزوجة بالوظيفية لأنها فى الواقع لا تنتمى إلى أى من نظريات العمارة

الأكثر تخصصاً فهى تناقض بشكل جذرى بعض أطروحات" غاستون باشلار" Gasten Bachelard التى قدمها فى كتابه" جماليات العمارة" حيث تتعارض عمارة تحت الأرض مع فكرة العمودية والمواجهة التى تميز العمارة بصفة عامة(كيوة، وآخرون. 2003ص88).

3- خصائص الرمز فى منازل مطماطة تحت الأرض:

يمكن رصد بعض خصائص ومظاهر الرموز الأمازيغية بعمارة مطماطة من خلال:

1- تكرار الرموز المجردة على الجدران وفوق الأبواب بطريقة تلقائية حيث ينظر للأبواب وفق المعتقد الشعبى باعتبارها مقام الملائكة أو الشياطين وهى كذلك تعتبر الوسيط الفيزيقى والنفسى بين المنزل وزواره والذين يمكنهم أن يصيبوا أصحاب المنزل بالعين والحسد وهنا تصبح تلك الرموز وسيلة لتحصين أصحاب المنزل من كافة الشرور وهى تعمل فى نفس الوقت على التخفيف من حدة التصميمات المعمارية الفقيرة من الزخارف والرسوم والألوان.

2- تكون تلك الرموز غالباً مستوحاة من البيئة الثقافية أو الإيكولوجية المحيطة مع بعض التجريد وهى قد تستند فى وجودها على مرتكزات الفن البدائى والممارسات التقليدية الموروثة.

3- تنطلق تلك الرموز فى الغالب من فكرة الطوطم أو التابو وهما معتقدان سحريان مؤداهما قانون التبجيل والتحريم حيث تكون تلك التمثلات حسب اعتقادهم كفيلة بطرد الأرواح الشريرة وتوفير الحماية لسكان المنزل من كل قوى الشر الخفية والمنظورة.

4- تمثل تلك الرموز طابعاً فنياً متجانساً مع مكونات العمارة والتدخلات اللونية والتى تشكل قيمة ثابتة بالمجتمع الأمازيغى بالجنوب التونسى والتى تشير إلى معالم الهوية الأمازيغية بما تحمله من معتقدات متوارثة عبر حركة الزمان والمكان.

5- تتعدد وتتنوع أهداف تلك الرموز ما بين الرغبة فى الحماية من قوى الشر الخفية أو لجلب الحظ السعيد وما بين تشتيت أنظار زوار البيت خوفاً من تأثير الحسد والعين.

6- كانت محاولات الأمازيغ لتطوير تلك الرموز سبباً فى استمرارها والعمل على إحيائها وهو ما أدى إلى إحداث نوعاً من التوافق والمعايشة المستمرة للرمز.

7- افتقار منازل مطماطة تحت الأرض وخلوها فى أحيان كثيرة من عناصر الزخرفة سواءاً بالرسم أو النقش البارز أو الغائر وقد يعود ذلك إلبطبيعة الحياة القاسية والبيئة الفقيرة من الموارد والتى تجعل الإنسان الأمازيغى فى كدح دائم للبقاء أصلاً على قيد الحياة، أو ربما لعدم انتشار تلك الحرفة بالشكل الذى يؤهلها للبقاء والاستدامة والتى حتماً سوف تحتاج لممارستها متطلبات مالية وأدوات خاصة وفنانين يجيدون هذا النوع من الفن وهو ما لم يتوفر بتلك المجتمعات.

8- إن كل ما أبدعته أيدى البنائين أو النحاتين داخل المنزل الحفرى هو فعل رمزى يعبر عن معانى مجردة تتخطى أحياناً الواقع الحسى الملهم لوجودها.

9- تميزت النقوش الرمزية المختلفة والمنتشرة على واجهات ومداخل الغرف بالتنوع ما بين أشكال مثل" اليد أو الكف، الهلال، النجمة الخماسية، قرون الثور والسمكة"، وبين الأشكال الهندسية مثل المثلثحيث يمكن تفسيرها أنثروبولوجيا على النحو التالى:

(4) أنماط الرموز فى منازل مطماطة:

أ- رمز المثلث:

يطلق على رمز المثلث إسم" أموركش" وهو يجسد أحد آلهة الأمازيغ القدامى" تانيت" حسب بعض الأقوال. ويقال أنه رمزاً مشتركاً بين الحضارتين الفرعونية والأمازيغية وهو ما قد يشير إلى عمليات التواصل الثقافى بين الحضارتين حيث يتماثل رمز المثلث مع شكل الهرم ولكن مع اختلاف الدلالات الثقافية. ويمكن أن يتجسد ذلك الرمز بأشكال مختلفة فقد يأتى متكرراً فى صورة ثلاث مثلثات يكون الأوسط منها كبيراً عن الآخرين وخاصة فوق مدخل المطبخ والذى يكون مدخله منخفضاً قليلاً مما يجعل الداخل إليه ينحنى منطلقاً من فكرة التليث للتبجيل وطلباً للبركة بينما يرى البعض أن رمز المثلث يشير إلى الرقم ثلاثة وعندما يتكرر فوق أبواب آخرى فهو ربما يشير إلى الأمنيات بالمحاصيل الجيدة والوفيرة(الجزايراوى، 2016ص45).

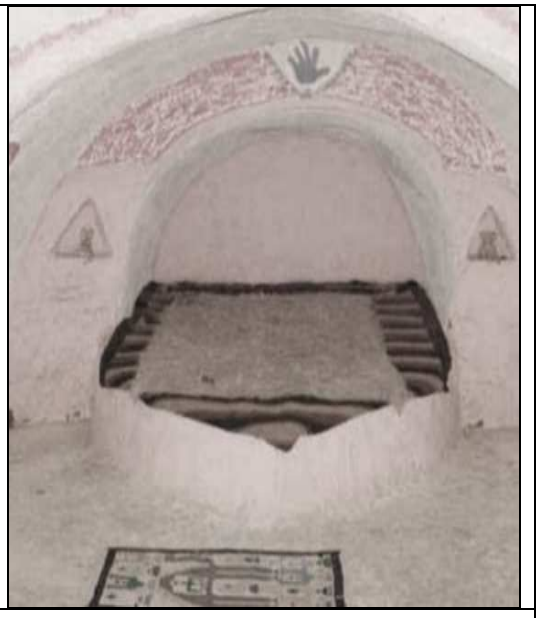

(صورةرقم1) رمز المثلث بمطماطة وقد تم تغيير ألوانه الأصلية www.rosaelyousef.com

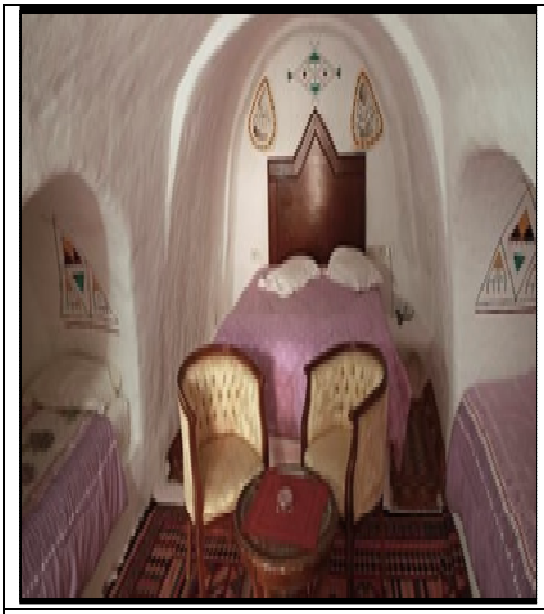

(صورة رقم2) رمز المثلث بحوش سيدى ادريس www.alamy.com

يتنوع شكل المثلث ووضعه فوق الجدران أو المداخل فقد يأتى أحياناً فى صورة مثلثين متقابلى الرأس وهو ما يؤكد على فكرة الأخوة والتعاضد وإذا كان متساوى الأضلاع فهو يرمز إلى معانى السمو والرفعة والانسجام وإذا كانت قمته لأعلى فهو يعبر عن النار والذكورة وإن كانت قمته لأسفل فهو يشير إلى الأنوثة والماء(أوسوس، 2008 ص108).

(صورة رقم3) توضح توظيف شكل المثلث فى عمارة الأمازيغالتقليدية بالجنوب التونسى www.shutterstock.com

قد يرمز المثلث إلى رحم الإلهه الأم التى تهب لهم الحياة حسب المعتقدات الأمازيغية الوثنية القديمة وربما تعنى الصورة الرمزية لتكرار المثلثات وتعددها التعبير عن شكل من أشكال سحر الخصوبة عند الأمازيغى القديم. ويمكن التأكيد على أن شكل المثلث كرمز معمارى قد اختفى بشكل كبير من داخل أحواش الحفر وذلك ربما يعود لكثرة عمليات التدخل بالترميم أو بسبب طغيان رموز آخرى مثل السمكة وكف اليد(الحاجى، 2008ص33).

لقد انتشر ذلك الرمز بمداخل البيوت القديمة فوق الأرض فى معظم القرى الأمازيغية بالجنوب الشرقى التونسى علاوة على رسمة فوق المداخل وجدران منازل تحت الأرض سواءاً فى توظيفه كوعاءهندسى لرموز آخرى فوق ابواب المنازل التقليدية أو فى تصميم النوافذ على شكل المثلث بهدف التعبير عن معتقدات أمازيغية ضاربة فى عمق الزمن.

ب- رمز المثلث ذو الدائرة والخط المستقيم" الدبوس":-

قد نجد أحياناً رمز المثلث الملتصق بالدائرة والتى ينصفهاخط مستقيم فوق بعض مداخل منازل مطمماطة الأثرية وهوما يشير غالباً إلى الإلهة تانيت الأم الكبرى القرطاجينية والتى توفر الحماية للمكان الذى توجد فيه.فالمثلث يعتقد بقدرته على جلب الخصوبة بينما الدوائر مع المثلثات يحرسن الشعب الحر حسب الموروثات الأمازيغية.ويذهب العديد من الدارسين إلى التأكيد على أن ذلك الرمز هو بمثابة استعادة للإلهة الأم الكبرى" تانيت"(بن عياد، 2021).

(صورة رقم4) توضح المثلث والدائرة والخط المستقيم
www.adobe.com

يتجسد هذا الرمز فى العديد من مفرداتتلك الثقافة مثل الزرابى ونقش الحناء وكذلك فى حلى النساء المصنوعة من الفضة.

(صورة رقم5) على اليمين نفس الرمز كحلى مصنوع من الفضةوعلى اليسار متشكلا فوق السجاد الأمازيغى اwww.shutterstock.com

يطلق على تلك الحلية من الفضة إسم" تازرزيت Tazerzit وهى تعنى بالأمازيغية" الدبوس" ولكنها تتخطى المعنى الحرفى للكلمة لتشير إلى الإلهة تانيت حيث يرمز المثلث إلى رحم الإلهة الأم الذى لا يكف عن الاتساع ويرمز الدبوس أو القضيب إلى قرينها أو إلى العشيرة فى حين ترمز الدائرة أو الخاتم إلى الهلال الذى اقترن بعبادتها بوصفها ربة الخصب والنماء(أيت الفقيه، 2018).

ج- رمز الياز:

هو حرف" الياز" أو الزاى فى اللغة الأمازيغية والذى يرمز إلى الأمازيغى الحر الذى يرتكز بقدميه على الأرض ويمد يديه إلى السماء، وقد بدأ رسم ذلك الرمز داخل الفضاء المعمارى ليشير إلى فكرة الاعتزاز بالثقافة الأمازيغية،ويتوسط ذلك الرمز كلمة" أمازيغ" ونجده أيضاً فى كلمة Izuran والتى تعنى الجذور فى إشارة إلى المعنى المقصود منه وكذلك يتزين به العلم الأمازيغى حيث ينظر إليه باعتباره رمزاً للأمة الأمازيغية وهو يعتبر كذلك من أشكال التعبير عن الهوية داخل المنشآت المعمارية الأمازيغية(الجيلالى، 1983ص38).

(صورة رقم6) توضح حرف الزاى الأمازيغى كرمزللهوية
www.adobe.com

يتشكل ذلك الرمز أحياناً فى الحلى أو فوق جدران البيوت أو ربما قد يوجد متحداً مع رموز أمازيغية آخرى كنوع من التعبير عن الموروث الأمازيغى الضارب فى عمق الزمن، وينظر إليه كذلك باعتباره رمزاً للحرية ووسيلة للتخاطب وأداة للتقارب والتواصل بين كل الأمازيغ قاطبة أينما وجدوا(Becker, 2006).

من الملاحظ أن ذلك الرمز قد أضيف مؤخراً كرمز معمارى بعد تنامى النزعة الأمازيغية وإن كان لم يتواجد ضمن المنظومة الرمزية داخل المنازل القديمة والتى لم تجدد رموزها وهو ما قد يؤرخ للحركة الأمازيغية كثقافة عرقية.

(صورة رقم7) توضح رمز الزاى الأمازيغى بأشكال محتلفة www.alamy.com

د- رمز السمكة أو الحوتة:

ترمز السمكة فى التراث الأمازيغى إلى" بوسيدون" إله البحر والذى يعتقد فى قدرته على حماية الصيادين وكلراكبى البحر من المخاطر والأهوال وقد تشير إلى الخير والتجدد والعيش الرغيد، وتتجسد داخل منازل الحفر إما بشكل السمكة أو قد يكتفى بزيلها فقط والذى يكون غالباً جزءاً محنطاً من أسماك مختلفة.أو قد تكون فى صورة سمكتين متقابلتين ترمزان إلى الاقتران والألفة والحياة الرغيدة وغالباً ما ارتبطت رمزية السمكة فى الثقافة الشعبية الأمازيغية وموقعها فوق الباب بالأمنيات بالذرية من البنينوالبنات وإعمار المنزل وكذلك فقد اعتقد بقدرتها على طرد العين ودفع الحسد(الجزايراوى، 2016ص45).

(صورة رقم8) توضح رمزية السمكة على مدخل www.shutterstock.com

تكاد تتخطى رمزية السمكة أماكنها المعهودة فوق مداخل الأبواب وجدران الفناء المركزى لتتواجد فى أماكن عديدة من الحوش الحفرى وخاصة عند أماكن حفظ أدوات المنزل.

(صورة رقم9) رمزية السمك عند أدوات المنزل www.adobe.com

يشير" بوراس" bourass إلىأن رمز السمكة فى الثقافة الأمازيغية لها أصول مسيحية ترمز إلى معجزة الخبز والسمك التى وردتفى الأناجيل المسيحية كما ورد فى إنجيل متى ط5. الرهبانية اليسوعية – الفصل الحادى عشر– معجزة الخبز والسمك" 14–21:13" أن السيد المسيح انصرف إلى مكان قفر فلما عرفت الجموع ذلك تبعته من المدن سيراً على الأقدام فلما كان المساء دنا إليه تلاميذه وقالوا له إن المكان قفر وقد فات الوقت فاصرف الجموع ليذهبوا إلى القرى ليشتروا طعاماً فقال لهم لا حاجة بهم للذهاب ولكن أعطوهم أنتم ما يأكلون فقالوا ليس عندنا هنا سوى خمسة أرغفة وسمكتين فقال إلى بها ثم أمر الجموع بالقعود على العشاء وأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع عينيه نحو السماء وبارك وكسر الأرغفة وناولها تلاميذه الذين ناولوها للجموع فأكلوا كلهم حتى شبعوا ورفعوا ما تبقى من الكسر اثنتى عشرة قفة مختلفة وكان الآكلون خمسة آلاف عدا النساء والأولاد.

ولا تزال تشتهر عادة ما يسمى" بقفزة الحوت" فى الأعراس التونسية حيث تحرص الكثير من العائلات وخاصة الصفاقسية علىممارستها حتى بأفخم الفنادق. وتتمثل هذه العادة فى قيام العروسين بالقفز على سمكة كبيرة الحجم وتزين بالشرائط الملونة وتوضع أمام العروسين فى طبق وتقوم العروس بالقيام بسبع خطوات فوق السمكة بينما يقوم عريسها بإمساك يدها ثم يقوم هو الآخر بنفس الأمر. والغرض من تلك الممارسة هو طرد العين وإبطال الحسد (يونج، 2012ص66).

هـ– رمزية قرون الثور أو الكبش:–

يشير الحمل فى الثقافة البربرية إلى الإله آمون والذى كان ينظر إليهباعتباره رمزاً للخصوبة وللقوة الطبيعية ولقد اشتهر البربر القدامى بتقديسهم للحيوانات مثل التيس والثور.ويذكر أن عبادة الكبش المنقولة من خلال التثاقف بين الحضارتين المصرية القديمة" الفرعونية" والأمازيغية قد وجدت فى ليبيا منذ القدم وأن صفات الكبش من حيث قوته وسرعته واستحالة الوصول إلى أماكن تجواله فى المناطق الجبلية الوعرة جعلت منه حيواناً جديراً بالأعجاب والتقديس. ولقد تأثر الأمازيغ أيضاً بالفينيقيين الذين

حكموهم واحتكوا بثقافتهم ومعتقداتهم وخاصة فى مدينة" قرطاجنة– قرطاج حاليا" حيث أخذوا من عقائدهم وقلدوهم فى وثنيتهم فعبدوا الكبش وشاركوهم فى طقوس عبادته(كاريخال، 1984ص119). ولقد ظلت عملية ذبح الحمل تشكل طقساً أساسياً فى ليلة الدخلة وهناك أيضاً من يخضب شجرة الرمان بقرون الحمل لتنتج فاكهة تمتاز بالديمومة والوفرة والحياة،بينما يرى آخرون أن قرون الثور ربما ترمز لإله الحرب" أثورزيل" المتجسد فى الثور.

(صورة رقم10) توضح رمزية قرون الكبش فوق مدخل حوش حفرى www.adobe.com

يكاد يكون لكل قبيلة ليبية قديمة كبشها المقدس الخاص بها ولم يكن من اليسير النظر إليه والتواصل معه بشكل مباشر ولم يكن فى متناول الجميع بل كان له كهنة يحيطونه بالأساطير التى تضفى عليه هالة من القداسة وتجعله مهاباً من الجميع. ولا يزال القرويون الأمازيغ يعلقون قرون الكبش ويضعونها فى بيوتهم اعتقاداً منهم بقدرتها على دفع الأذى والشرور(أوسوس، 2008ص48).

و– رمز الكف أو الخمسة:

تشترك معظم دول الشمال الإفريقى فى استعمال هذاالرمز بكثرة حيث يحرص المغاربيون على تعليق ما يعتقدون أنه رمزاً دينياً على مداخل بيوتهم أو على الحوائط أو قد يلبس على شكل قلادة إيماناً منهم فى قدرة تلك التميمة على إبطال العين الحاسدة وتوفير الحماية لصاحبها من الشرور والأسحاروهى اليد المبسوطة الأصابع

والتى تعرف بعدة أسماء منها" يد الإله" و" أخمسه وخميسة" وتعنى اليد والأصابع مرفوعة فى وجه الأشرار، وهى تشير إلى إلهة الرزق والخصوبة" تانيت بقرطاج" والتى كان يرمز إليها بكفذو خمسةأصابع مرفوعة لأعلى. وتذكر بعض الآراء أن دخول ذلك الرمز إلى تونس فى بادئ الأمر كان عن طريق" الفينيقيين" الذين شيدوا مدينة" قرطاج"وقدسوا فيها المعبودة تانيت. وغالباً ما كانتترسم فوقجدران ومداخل البيوت بلون أزرق وفى أحيان آخرى كانت تخضب بدم كبش مذبوح وتوضع فوق الجدران ولا يعرف أصول تلك العادة بالتحديد(باقر، 2017ص257).

(صورة رقم11) توضح رمز الكف داخل حوش الحفر بمطماطة
www.alamy.com

إنه لمن الصعب الجزم بتاريخ دخول هذا الرمز إلى الثقافة الأمازيغية وذلك لتجذره وارتباطه بالموروث الشعبى من جهة وبالأديان السماوية من جهة آخرى حيث عرف فى شتى الثقافات والجماعاتالإنسانية فهو يد إلهة الرزق والخصوبة" تانيت" فى قرطاج وهو يرمز أيضاً إلى إله الحماية عندالهندوس، وكذلك فقد عرف قديماً عند اليهود بإسم" كف مريم" أخت النبى موسى ابن عمران عليه السلام. وهو يشير كذلك إلى كف مريم ابنة عمران أم المسيح عليه السلام عند المسيحيين وإلى كف فاطمة بنت النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عند الشيعة.والخمسة هو رمز ذائع الصيت ويحتمل أن يكون استخدامه أقدم من تاريخ الديانات السماوية ذاتها فلقد عرف رمز الكف عند إنسان الكهف قبل معرفة الإنسان للكتابة حيث يمكن رؤيته بأشكال مختلفة فى غالبية رسوم الكهوف مع اختلاف دلالاته الثقافية(الجيلالى، 1983ص44).

وقد ظهر شكل الكف الأحمرعند الكثير من الثقافات الإنسانية حيث وجد مرسوماً على جدران كهوف قبائلالمايا فى المكسيك كما ظهر فوق أسطح المعابد الآشورية القديمة فى سوريا والعراق فى أيقونات ورسوممحفورة على جدران المعابد والتى كانت تشير إلى قدرة ورعاية الآلهة وكذلك فقد عرف عند المصرييناالقدماء الذين دائماً ما خضبوا اليد بدماء الأضحية ووسموا بها الجدران اعتقاداً برمزية اللون الأحمر لإله الشر" ست". ولقد ظل طقس وضع الكف المخضبة بالدماء على الجدران لدفع شر المعبود" ست" والتصدى لكل عين حاسدة وطرد الأرواح الشريرة مستمراً لفترة طويلة عند قدماء المصريين.وربما تكون تلك العادة قد انتقلت بعد ذلك إلى سكان مدينة" قرطاجنة" ومنها إلى كافة البربر بالشمال الإفريقى والطبع إلى منازل مطماطة المحفورة بأحشاء الأرض(تشرنى، 1996 ص65).

يمكن تتبع تاريخ هذا الرمز فى الديانات السماوية كمافى الثقافة اليهودية حيث يذهببعض اليهود السفارديم" وهم الذين لا ينتمون إلى أصل غربى" إلى القول بأن رمزالخمسة يدل على الكتب الخمسة المقدسة بالتوراة وهو أيضاً قد يشير إلى الحرف الخامس بالأبجدية العبرية" هيت" والذى يعبر عن أحد أسماء الله المقدسة.

يقال أن رقم خمسة يرمز إلى الحواس الخمسة وهى" السمع، البصر، التذوق، الشم، اللمس" التى يجب شكر الرب عليها جميعاً، هذا علاوة على إشارته إلى مريم أخت النبى موسى ابن عمران حيث يقال أنه رمزاً لمساعدتها لأخيها المذكورة فى النصوص التوراتية، وعادة ما تحمل الخمسة والخميسة عند اليهود رسوماً لأسماك وقد يعود ذلك لنص توراتى يقول" المياه تغطى أسماك البحر حتى لا يكون للعين قوة عليها" وهو ما يمكن أن يفسر استخدام شكل السمكة داخل الخميسة اليهودية(Rabinovitch, 2002, p:170).

بينما فى الثقافة المسيحية كان يطلق عليه مسيحيو الشرق الأوسط إسم" كف مريم" فى إشارة إلى مريم العذراء ويدها المباركة، وقد استعملت رمزية الكف أيضاً لحماية الأم

والجنين والتبرك بها لدرء الشرروركما ذكر القس والكاتب الأمريكى" هنرى كلاى ترمبل" Henary Clay Trumbull.

فى حين لم يظهر فى الثقافة الإسلامية عند المسلمين فى صدر الإسلام ولكنها استعملت بكثرة عند الشيعة وقد تسمى" كف فاطمة" فى بعض الدول العربية كما أنها وجدت بجنوب أسبانيا بفعل الموروث العربى هناك. وترمز الخميسة فى مناسبات الشيعة مثلعاشوراء وذكرى كربلاء إلى أصحاب الكساء أو العباءة الخمسة وهم النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وابنته فاطمة والإمام على رضى الله عنه وابنيه الحسن والحسين". ويرى الباحث " أحمد الشميمرى" فى كتابه" أن تلك التميمة قد يكون المقصود بها هى الآيات الخمس من سورة الفلق فبدلاً من أن يقرأها الناس للتعوذ من الحسد كانوا يعلقون تلك التميمة فى إشارة إلى تلك السورة للاحتماء بها من الحسد(الشميمرى، 2004ص170).

(صورة رقم12) توضح تعاقب وتداخل الرموز www.alamy.com

لا يزال ذلك الرمز منتشراً فى ثقافات العالم قاطبة وقد يتجسد فى صورة رسوم وحلى ومجوهرات للنساء أو فوق أبواب وجدران البيوت وداخل السيارات بحيث يصبح مصدر طاقة وشعور بالحماية من أعين الحساد والأشرار بغض النظر عن منطلقاتها الثقافية والعقائدية.وتختلف دلالات هذا الرمز حسب وضعه التشريحى فإذا كان الرمز معلقاً والأصابع تشير لأعلى فهو يدل على استخدامه لدرء الحسد أما إذا كان اتجاه الأصابع لأسفل فهو يستخدم فى تلك الحالة لجلب الحظ والرزق والخير الوفير(حمداوى، 2017ص19).

وبالرغم من أن هذا الرمز لم يرتبط فى ظهوره بالأديان السماوية حيث سبق وجودها داخل جدران الكهوف قبل ملايين السنين إلا أنه قد أصبح وثيق الصلة بكل تلك الأديان وعبر الموروث الشعبى أيضاً كجزء من ثقافة اجتماعية متعددة. ويذكر بعض الرحالة أن اليهود فى تونس كانوا لا يغادرون للسفر إلا ومعهم هذه اليد منحوتة على حجر أو خشب وذلك لاعتقادهم أن لها قدرة ناجعة فى دفع الشرور والوقاية من الحسد، وكان إذا ما امتدح أحدهم ممتلكات اليهودى أو أطفاله قام بإشهار كف الخمسة فى وجهه لتحصين الأنفس والممتلكات من أعين الحساد ومن أى أذى محتمل.ووفقا لكتاب"تونس الأرض والشعب" للكاتب النمساوى" أرنست فون هس وارتغ" Ernst Von Hass 1982 فإن ظهور هذا الرمز فى بداية استخدامه بتونس كان يعبر عن ثقافة ومعتقدات شعبية أكثر من كونه رمزا دينياً مرتبطاً بالرسالات السماوية وذلك لأنه مأخوذ عن آلهة وثنية قديمة ترجع لفترة الفينيقيين والآشوريين.ولقد كان ذلك الرمز يمثل الإلهة الفينيقية" تانيت" رمز الأمومة والخصب والنماء وازدهار الحياة الزراعية والمتحكمة فى الدورة القمرية والتى أصبحت يدها بمرور الوقت تشكل تميمة واقية تستخدم لدرء العين ودفع كل أذى محتمل وهى ربما تشكل واحدة من أقدم مظاهر التعبير عن المخاوف البشرية من قوى الشر المنظورة أو الخفية(الطرابلسى، 2015ص43).

س–رمز النجمة:

تعتبر من الرموز المنتشرة فى الثقافة الأمازيغية القديمة والتى لا زالت متوارثة عند أجيال الأمازيغ وتذكر الباحثة الليبية" سعاد بوبرنوسة" فى بحثها بعنوان" المرأةالأمازيغية: حارسةالنسيج–حارسة الثقافة" أن الأمازيغ الليبيين القدامى قداستخدموا رمزية النجوم فى رسوم الكهوف وفى الوشم وعلى لأسطح المعمارية وذلك بهدف الإشارة إلى الإخصاب والحصاد بشكل عام حيث اعتقدوا بأنها تجلب البركة للمحاصيل الزراعية وإكثار الحبوب.ولقد ارتبطت رمزية النجمة بالكثير من المعبودات القديمة مثل" عشتار ونمرود وأفروديت وغيرها" حيث اعتقدوا بأن لها قوة سحرية فى دفع الضر والأرواح الشريرة(بوبرنوسة، 2011).

(صورة رقم13) رمزية الهلال متحداً مع رموز آخرى www.shutterstock.com

ح-رمز الهلال:

يعرف الهلال بإسم"أيور" فى اللغة الأمازيغية وغالباً ما استخدم هذا الإسم عند الإشارة إلى رب القمر لدى الأمازيغ القدامىولقد أشار ابن خلدون إلى أن عبادة القمر قد عرفها ومارسها الليبيين القدماء.وكذلك فقد تكلم المؤرخ اليونانى هيرودوت" Herodouts فى كتابه" الكتاب الليبى" عن الكثير من طقوس وعبادات وعادات وعن بعض آلهة الليبيين القدماءوخاصة البدو والرعاه وقال إنهم على اختلاف مشاربهم كانوا يقدمون القرابين للشمس والقمر وأشار إلى أنهم كانوا يبدءون طقوسهم بقطع أذن الأضحية ويلقونها على منازلهم ثم يقتلونها عن طريق لى عنقها ثم يتقربون بها إلى إله القمر والشمس.ولقد كانت هذه الطقوس معروفة ومنتشرة على نطاق واسع لدى كافة الأمازيغ" الليبيين القدماء".

(صورة رقم14) توضح رمز الهلال مع رموز آخرى بحوش حفري بمطماطة www.alamy.com

من المعروف عن الأمازيغ أنهم كانوا قد عبدواالقمر سواءاً فى طور اكتماله أو فى مرحلة الهلال والذىكان يرمز إلى الولادة أو الموت ولذلك فإن تجسد هذا الرمز فوق الأسطح المعمارية إنما يعبر عن نوع من التبجيل لمعبودات قادمة من عمق الزمان(Shaler, 2014, p:34). وبالطبع لا يزال هذا الرمز حاضراً فى الثقافة الأمازيغية فى المنازل التقليدية الريفية.

ط-رمز حدوة الحصان:

التى تصنع من الحديد وتعتبر من الرموز واسعة الانتشار فى شتى الثقافات حيث يعتقد أن وضعها فوق الأبواب يوفر الحماية لأصحاب المنزل من الحسدوبقدرتها على جلب الحظ السعيد.ومن المرجح أن بداية استخدامها كان عند الإغريق ثم تبعهم الرومان والذين اعتبروها جالبة للحظ الجيد كما جاءفى كتاب قصة العادات والتقاليد وأصل الأشياء للباحث الإنجليزى" تشارلز باناتى" Charles Panaty وهى تعتبر من أكثر التعويذات انتشاراً فى العالم. وترجع معظم الأساطير الإغريقية القديمة جذور عادة تعليق حدوة الحصان فوق مداخل أبواب البيوت إلى القيس دونستانSt Dunstan الذى أعطاها قوة خاصة لردع الشيطان. وربما يعتقد أنها قد نقلت إلى الأمازيغ إبان فترة الإحتلال الإغريقى والرومانى من بعده واستمر استخدامها بعد ذلك وحتى الآنوأحياناً آخرى قد يتم رسم رمز حدوة الحصان فوق مداخل البيوت والأبوابباستخدام الألوان الزرقاء لأداء أدوارها الوظيفية والرمزية حسب المعتقدات الشعبية الأمازيغية الموروثة(باناتى، 2003ص127).وهى تعتبر الحالة الأكثر انتشاراً داخل منازل مطماطة الأثرية بالجنوب الشرقى التونسى وقد يعود ذلك لاعتبارات عديدة منها سهولة التنفيذ وقلة التكلفة عكس النماذج الآخرى المصنوعة من الحديد. وعلى كل حال يظل لذلك الرمز وظيفته المقدرة فى الثقافة االأمازيغية لدفع الشرور عن أصحاب المنزل وساكنيه.

(صورة15) توضح رمز حدوة الحصان من الحديد www.shutterstock.com

(5)رمزية الكتابات العربية داخل أحواش الأمازيغ:

من المعروف أن للكتابات بالخط العربى داخل العمارة الإسلامية بصفة عامة جانبان أحدهما فنى تشكيلى وهو ما يتعلق بأنواع الخطوط وتقنية رسمها وهى مهمة الفنانين أو الخطاطين والثانى هو جانب التصميم المعمارى والذى يتعلق بطريقة وكيفية ومواضع توظيف تلك النصوص الخطية مع كتل وعناصر المنشأة المعمارية وهى مهمة المصمم المعمارى(الألفى، 1974 ص12).

والحقيقة فإن لكتابة لفظ الجلالة وإسم النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بالعربية مهابة تبعث فى النفس خشوعاً وتقود ما فى دواخلنا إلى ذكر الخالق العظيم وربما يكون ذلك هو ما قصده الأمازيغ من لفت انتباه زائر البيت إلى ذكر الله فيفسد شره وعينه الحاسدة(إبراهيم، 1981ص77).

غالباً ما تنطلق الكتابات العربية بمطماطة من الموروث الشعبى الممزوج بالمعتقد الجمعى والذى يتجلى فى صورة الرمز الذى يعبر عن انتماء وروح الجماعة. ومن الملاحظ أنه وبتحول الأمازيغ إلى الإسلام بدأت تدخل رموزه المقدسة إلى الثقافة الشعبية والوعى الجمعى الأمازيغى والتى تمثلت فى مقتبسات من اللغة العربية لغة القرآن الكريم حيث شاع نقش لفظ الجلالة وإسم النبى الكريم" محمد صلى الله عليه وسلم" كاختصار لشهادة التوحيد على مداخل البيوت والغرف بصورة منفردة أو مندمجة مع رموز تراثية آخرى.ولقد ظهرت الكتابات بطريقة عفوية بعيداً عن الخطاطين المحترفين وهو ما يبدو من تقنية الخط العربى وغالباً ما كانت الكلمات العربية تشكل تعبيراً عن المعتقد الجديد أكثر من كونها دلالة على تحولهم إلى لغة لسانية جديدة.

(صورة رقم16) توضح دخول الكتابات العربية فى رموز العمارة الأمازيغية بأحواش بمطماطة
www.alamy.com

(6) رمزية ألوان المنازل الأثرية بمطماطة وتفسيرات استخدامها:

ينتشـر أسـلوب طـلاء جـدران المنـزل الحفرى باسـتخدام اللـونين الأبـيض والأزرق، ويعتبر اللون الأبيض هواللون الأساسى للمنزل حيث تدهن به الغرف الداخلية ومداخلها وجدران الفناءالمركزى بارتفاعات معينة. ويتميز اللون الأبيض بالإشعاع الذى يمكن أن يشير إلى مداخل الغرف بسهولة فى الليالى الظلماء وكذلك لقدرته على عكس الضوء ولتشتيت درجات الحرارة العالية نهاراً(الجيلالى، 1965ص37).

(صورة رقم17) توضح استخدام اللونين الأبيض والأزرق
www.adobe.com

يحل اللون الأبيض محل الفسيفساء والرخام فى عمارة الرومان تحت الأرض حيث كان الهدف منه هو إيجاد التناغم البصرى مع البيئة العمرانية ومحاكاة الأشكال المعمارية فوق الأرض لتلبى احتياجات الإنسان الفيزيقية والنفسية، أما الأزرق فتطلى به الأبواب وهو يرمز إلى السماء ويعتقد كذلك فى قدرته على إبعاد العين والحسد والأرواح الشريرة(المركز الثقافى الأمازيغى،2015).

من المعروفأن للألوان تأثيرات سيكلوجية على النفس وقد تكون سبباً فى تشكيل المزاج سلباً وإيجاباً فالألوان الباردة مثل" الزرقاء الفاتحة" تعطى إحساساً بالإتساع عكس الألوان الحارة والتى تعمق الشعور بصغر حجم الفراغ المعمارى. وغالباً ما يعطى اللون الأبيض المحاط بلون غامق انطباعاً برحابة المكان بينما يعطى اللون الأبيض فى الأسقف إحساساً بالارتفاع(خلف، 2005ص87).

لقد قام بعض الباحثين وعلماء النفس بجامعة" بريتش كولومبيا" The university of british colombia بإخضاع 600 طالب لتجربة دراسة تأثير الألوان على السلوك الإنسانى والتى كان من نتائجها أن أبدى الجميع مهارة كبيرة فى التخيل عند إدامة النظر إلى اللون الأزرق والذى يشير إلى سرعة استدعاء معانى خاصة بالسماء والمحيط بشكل يساعد العقل على التفكير فى الآفاق الممتدة فى نوع من الاسترخاء العقلى وكذلك يقلل من التركيز على ما يحدث فى الواقع المحيط بينما شكل اللون الأبيض رمزاً للنقاء والسلام الداخلى والراحة النفسية(Ning 2010, p:48).

كان لاستخدام الألوان العديد من الدلالات والتفسيرات ذات الصلة منازل مطماطة حيث تشير بعض المصادر إلى أن سبب انتشار اللونين الأبيض والأزرق يعود إلى اعتماد السكان على مادة النيلة للحصول على اللون الأزرق والجير كمصدر للون الأبيض والذى يتميز بالقلوية المرتفعة والذى يعمل كمعقم للجدران وقتل الحشرات(مرابط، 2019).

بينما يرجع البعض ذلك إلى كون هذين اللونين يسهمان بشكل كبير فى التقليل من حدة درجات الحرارة حيث يعملان على عكس أشعة الشمس ولا يمتصان منها إلا القدر اليسير وهو ما يساعد فى بقاء المنازل باردة ومعتدلة الحرارة.ويرى آخرون أن اللون

الأزرق كان يستعمل بكثرة بهدف إبعاد البعوض وقد عمدوا إلى وضع اللون الأبيض بجواره بهدف كسر حدته ولإيجاد نوعاً من التوافق البصرى.وهناك من يقول بأنه إرث يهودى وخاصة اللون الأزرق فهو مذكور فى التوراة ويرمز إلى القدسية والتوازن ويدللون على ذلك باتخاذ هذين اللونين فى العلم الإسرائيلى(رافع، 1994ص17).

من الجدير بالذكر أن الكثير من المدن المطلة على المتوسط تتزين بنفس الألوان سواءاً فى الشطر الأفريقى أو الأوروبىكما فى اليونان بمدينة" أويا" Oia وأسبانيا بمدينة" لامانشا" La Mancha والقرى الأندلسية.

حادى عشر: الدلالات المعرفية للرموز

غالباً ما تتميز الرموز بالامتداد التاريخى وتتداخل بصورة يصعب معها تحديد بداياتها فى الثقافات المختلفة مثال ذلك" رمز الهلال" فى الثقافة الأمازيغية والذى يشير إلى الميلاد أو الموت فنجده فى الحضارة المصرية القديمة رمزاً للازدهاروالعافية كما تداوله العراقيون فى عصر الامبراطورية الأكدية* حيث وجد منقوشاً على مسلة" نرام سين2300 ق.م".

(صورة رقم18) عملة رومانية قديمة تحمل رمز الهلال والنجمة
www.bbc.com

وكذلك فقدكان رمزاً إلى" آرتميس" Artemis ربة القمر اليونانيةثم أصبح بعد ذلك يرمز إلى" ديانا الرومانية" والذى تجسد فوق جبهتها،ولقد كان أيضاً رمزاً للآلهة الوثنيةالإغريقية والرومانية حيث تم طبعه على نقودهم القديمة سواءاً تلك التى وجدت قبل الميلاد أو بعده متحداً مع رمز النجمة الذى كان رمزاً للإلهة فينوس(ثوينى، 2014).

فى عام330 م قرر الإمبراطور اليونانى" قسطنطين الأول" Flavius Valerius Constantinus اتخاذ بيزنطة عاصمة لحكمه وأطلق عليها إسم القسطنطينية وكرسها للسيدة العذراء وجعل شعارها هو الهلال باعتبارها ملكة الجنة. وبعد حوالى ألف عام ظهر الهلال كرمز للأمة الإسلامية فى عهدالسلطان" عثمان الأول" حينما اتخذ من الهلال رمزاً لحكمه حيث تذكر الروايات العديدة والمتواترة أنه وأثناء نومه شاهد هلالاً كبيراً يمتد من مشرق الأرض إلى مغربها فتفاءل خيراً بتلك الرؤيا واعتبرها بشرى عظيمة بفتوحات إسلامية ممتدة ولقد بدأ فى عام698هـ- 1299م فتوحاته لتحقيق تلك الرؤيا(رافع، 1994ص18).

لم تكن الأمة الإسلامية تعرف الهلال كرمز لها من قبل حيث كان الرمز فى عهد الناصر صلاح الدين قبل ذلك بقرنين من الزمان هو" الشاهين" الذى يرفع على البيارق، وفى عهد السلطان" أورخان1326م-1360م" 726هـ-761هـ بدأ الهلال يظهر فوق رايات الجنود العثمانيين ثم فوق القباب والمآذن(المرزوقى،1984ص41).

وفى عام 857هـ -1453م تحول الهلال إلى رمز مزدوج للامبراطورية العثمانية وللبيزنطيين أيضاً بعد إضافة النجمة إليه للدلالة على الاستقلال والسيادة.وفى عام1294هـ-1877م تأسست جمعية الهلال الأحمر بتركيا للإغاثة ثم انتشرت فى باقى الدول الإسلامية كما ظهر الهلال بأعلام الكثير من الدول الإسلامية مثل" تركيا، تونس، ليبيا والجزائر، جزر القمر، ماليزيا، موريتانيا، باكستان وشمال قبرص ومصر فى عهد الملكية(التليلى، 2015ص327).

لذلك فإنه لمن المهم دراسة وتتبع السياقات المعرفية للرموز المختلفة الموجودة فى التراث المادى للجماعات والمجتمعات الإنسانية بهدف تفسير دلالاتها الثقافية ومعرفة مدى قدرة تلك الرموز على تشكيل لغة مقروءة من خلال النص المعمارى المجسد للعقل الجمعى فى الثقافة المنتجة له.ولهذا فإن الرموز الموجودة بالثقافات المختلفة لا يمكن اعتبارها هدفاً مجرداً فى حد ذاته ولكنها غالباً ما تكون نتيجة ورد فعل وترجمة لمعانى ثقافية ونفسية وهى قد تعبر أيضاً عن ميراث ثقافى متداخل عبر سيرورة الزمان بصورة يصعب معها تحديد مرجعياتها الثقافية ومدلولاتها الاعتبارية لدى الأمم والجماعات البشرية وهو ما ينطبق بالطبع على رمزية الهلال الموجود داخل منازل باطن الأرض عند أمازيغ مطماطة بالجنوب الشرقى التونسى.

ثانى عشر: أسباب استمرار الرموز الوثنية فى العمارة الأمازيغية

وأرجع البعض استمرارها حتى بعد التحول إلى الإسلام لعدة اسباب منها:

- الانعزال والبعد عن موارد التنوير الثقافى للمعتقد الإسلامى فى مناطق الأمازيغ الجبلية حيث تشير الدراسات التى تمت بمنطقة الجنوب التونسى خلال الفترة التى سبقت الاستعمار الفرنسى إلى أن السواد الأعظم من سكان البوادى كانوا لا يعرفون إلا القليل عن أحكام وتعاليم الدين الإسلامى.
- انتشار الجهل والأمية التى سيطرت على عقول الأمازيغ فى تلك الفترة.
- وجود ممارسات ثقافيةشعبية موروثة يومية وفصليه تدعم تلك الرموزوتعضد بقاءها وتوريثها للأجيال المتعاقبة.
- شدة الروابط القبلية والاعتقاد الراسخ فى الثقافة المحلية والتى غالبا ما تنطلق من الخصوصية التاريخية والهوياتية للأمازيغ وما ورثوه من ممارسات ثقافية عبر آلية التقليد دون معرفة وثيقة بمصدر ودلالات تلك الرموز والتى كان ينظر إليها باعتبارها عنصراً ثقافياً ينطلق من الهوية الأمازيغية الضاربة فى عمق التاريخ(Shaler, 2014, p: 69).

- سطوة الرمز وقوته واندماجه فى العقل الجمعى للجماعة الأمازيغية وتحوله إلى ثقافة شعبية بعيدا عن مسائل الاعتقاد.
- تحول الرمز إلى أحد أدوات تشكيل الثقافة المجتمعية والتصاقه كذلك بالمنظومة القيمية وقدرته الملموسة على إشباع حاجات نفسية وتحوله بعد ذلك إلى سلوك إنسانى مقدر داخل المجتمع الأمازيغى.

كل ذلك ربما يكون قد مهد الطريق لاستمرار تلك الأفكار الموروثة بما تحويه من بقايا عقائد وثنية قديمة أو ديانات آخرى قد تم تجاوزها والتى تعلن وجودها

واستمرارها داخل الثقافة الشعبية الأمازيغية من خلال المنظومة الرمزية المنظورة.

ويعتقد أن جنوح الناس إلى الرمز فى تلك البيئة قد يعود إلى الواقع المليئ بالتحديات والمخاوف المتمثلة فى انعدام الأمن وضعف السلطة الحكومية مع تنامى الأخطار الخارجية من خلال هجمات المستعمرين على تلك المنطقة لقرون عديدة عبر تاريخهم الطويل(باشلار،1984ص38).

وفى الختام تجدر الإشارة إلى أهمية دراسة المنظومة الرمزية فى المخرجات المعمارية الأثرية للجماعات الإنسانية ودورها المهم فى تشريح فكرها الثقافىوالاجتماعى والميثولوجى وبما تقدمه من معلومات بالغة الدقة عن نفسية اصحابها وبما تختزنه من ثقافة دالة عن القيم الثقافية للجماعات والمجتمعات الإنسانية وهو ما يعطيها أهمية خاصة علاوة على قيمتها الفنية وهو ما يستدعى ضرورة دراستها بشيئ من التفصيل وتوثيقها والمحافظة عليها للأجيال القادمة كأحد الشواهد التاريخية عنالموروث الثقافى وما يشهده من تحولات ثقافية بفعل الثقافات الوافدة.

خاتمة الدراسة:

وفى الختام فقد تناولت الدراسة أهمية الرموز الموجودة داخل الفراغات المعمارية الأثرية وأهم تفسيراتها فى الثقافة المحلية المنتجة لها ومدى ارتباطها بالأديان السماوية وبالعقائد الميثولوجية ودلالاتها المختلفة وتخطيها للحدود الزمانية والمكانية وامتدادها

عبر سيرورة الزمن وكذلك أهمية المحافظة عليها وتوثيقها كأحد الشواهد على الوجود الإنسانى الضارب فى عمق التاريخ.

- **نتائج الدراسة:**

ولقد توصلت الدراسة إلى:

1- وضحت الدراسة أهمية تشريح الفعل الرمزى داخل العمارة والنظر إلية كوثيقة مقروءة يمكن من خلالها استكمال حلقات التاريخ المفقودة للثقافات الإنسانية.

2- بينت الدراسة علاقة الرموز المعمارية بالمنظومة الثقافية للجماعات والمجتمعات الإنسانية فى تفاعلها مع التحديات والمخاوف البشرية.

3- فسرت الدراسة علاقة المنظومة الرمزية بالأبعاد الإيكولوجية وبالموروث الثقافى للمجتمعات الإنسانية.

- **توصيات الدراسة:**

وتوصى الدراسة بما يلي:

1- أهمية المحافظة على تلك الرموز المعمارية وثوثيقها وخاصة عند إجراء عمليات الترميم والصيانة للمخرجات المعمارية التاريخية والأثرية حتى لا تتعرض للتلاشى والضياع وفقدان أحد الدلائل الثقافية التى يمكن أن تفسر السلوكيات الإنسانية لبعض الجماعات البشرية.

2- وجوب النظر إلى الرموز المعمارية من وجهات علمية مختلفة بخلاف الأساليب الفنية واعتبارها وثيقة مهمة فى فهم الجماعات البشرية وجنوحها نحو الرمز للتعبير عن الثقافات المحلية للأمم والشعوب.

مراجع الدراسة:

- **المراجع العربية:**

- إبراهيم، جمعة.(1981). قصة الكتابة العربية، القاهرة: دار المعارف.
- ابن خلدون، عبدالرحمن.(1999). تاريخ العلامة ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر وهو تاريخ وحيد عصره ج6، بيروت: دار الكتاب اللبنانى.
- الألفى، أبو صالح.(1974). الفن الإسلامى ط2، القاهرة: دار المعارف.
- آل كريزة، عباس على حمزة.(2006). أثر البناء التخصصى على البناء الفكرى فى العمارة المعاصرة. بغداد: الجامعة التكنولوجية.
- أوسوس، محمد.(2008). كوكرا فى الميثولوجيا الأمازيغية، الرباط:: مطبعة المعارف الجديدة.
- إيكو، امبرتو.(2005). السيميائيات وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصعيدى، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- بطران، محمد مشهور.(2015). تأثيث الخراب" مشروع متحف عبور" مقاربة للوصول إلى فضاء يحاكى النكبة الفلسطينية. تونس: وزارة التعليم العالى والبحث العلمى. جامعة قرطاج. المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية والتعمير.
- باقر، طه.(2017). مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ج1. بغداد: دار الوراق للنشر.
- باشلار. غاستون.(1984). جمالية المكان، ترجمة غالب هلسا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- بنوا، لوك.(2001). إشارات. رموز وأساطير، ترجمة فايز كم نقش، بيروت: عويدات للنشر والتوزيع والطباعة.
- تشرنى، ياروسلاف.(1996). الديانة المصرية القديمة ط1، ترجمة: أحمد قدرى، القاهرة: دار الشروق.
- التليلى، مصطفى.(2015). قفصة والقرى الواحية المجاورة. جدل الحياة الجماعوية" من بداية القرن الثانى عشر إلى عام1881م"، ترجمة مصطفى التليلى، تونس: المركز القومى للترجمة.

- الجادرجى، رفعة.(1985). البحث فى جدلية العمارة، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- الجادرجى، رفعة.(1995). حوار فى بنيوية الفن والعمارة. بيروت: مؤسسة رياض الريس للكتاب.
- الجزايراوى، محمد.(2016). الرموز ودلالاتها فى النسيج التقليدى بالجنوب التونسى. مجلة الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر" علمية – محكمة". البحرين.(العدد33).
- الحاجى، رشيد.(2008). أسطورة الجسد فى عصر التقنية ومجتمع الاستهلاك، المغرب، مجلة فكر ونقد. العدد(3).
- حركات، إبراهيم.(2009). المغرب عبر التاريخ ج1. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة ص16.
- حمودة، يحيى.(1998). التشكيل المعمارى.القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ص53.
- الحيدرى، سناء ساطع.(1996). الانتماء المكانى فى التجمعات السكنية، أطروحة دكتوراه غير منشورة. قسم الهندسة المعمارية. كلية الهندسة. الجامعة التكنولوجية. بغداد.
- خلف، نمير قاسم.(2005). ألف باء التصميم الداخلى ط1، بغداد: جامعة ديالى.
- زين العابدين، هدى.(2016). ترجمة الرموز الدينية" الولى الصالح الطاهر يعود إلى مقامه الزكى" للطاهر وطار – دراسة تطبيقية.رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الترجمة. جامعة أحمد بن بلة، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى.الجزائر.
- صدار، نورالدين.(2011). سيميائية التواصل الفنى، بحث فى إشكالية المقصدية، مجلة أيقونات. منشورات سيما للبحوث السيميائية.العدد الثانى سيدى بلعباس.
- كارلوس، مارفن.(2001). سيميائيات البناءات المسرحية، ترجمة عبدالله مالكى، مجلة أسراف. العدد(16).
- كاريخال، ماريو.(1984). إفريقيا ج1، ترجمة عماد حجى وآخرون. الرباط: مكتبة المعارف.
- كيوة، رقية. وآخرون.(2003). دليل خصوصيات عمارة الجنوب التونسى، الجمهورية التونسية. وزارة التجهيز والإسكان والتهيئة الترابية. مكتبى للدراسات رقية كيوة ورضا الرقيق.

- ليون الإفريقى.(1983). وصف إفريقيا ط2، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامى.
- المرزوقى، محمد.(1984). مع البدو فى حلهم وترحالهم، طرابلس: الدار العربية للكتاب ص41.
- نصار، نواف.(2007). المعجم الأدبى ط1، مادة الرمز.عمان– الأردن: دار داود.
- هال، دوار.(2007). اللغة الصامتة، ترجمة لميس فؤاد اليحيى، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع.
- يونج، كارل.(2012).الإنسان ورموزه سيكولوجيا العقل الباطن، ترجمة عبدالكريم ناصيف. دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- **مراجع أجنبية:**
- Boubekri, M.(2008).Daylighting, Architeture and Health, Building Design Strateies 1st ed, UK, Oxford: Architectural Press
- Broadbent, G.(1991).Deconstruction A student Guide: Journal of architectural theory and criticism U.I.A. London: Academy edition.
- Dorkheim, E.(1971).The Elementary Forms of the religious life, London: George Allen and Unwin L.T.D
- Gharibpour, A.(2012).A definition of Architecture" Rethinking of Vitrovian traid". International Journal of Architecture and Urban development, vol 2 No 4.
- Jenks, C.(1993).Architecture today, London: Academy Editions
- Mallgrve, Harry F.(2011).An Introduction to architectural theory: 1968 to The Present, New York: John Wiley and Sons, L.T.D Publication.
- Ning, L.(2010).Color in Architecture Façade, Pittsburgh, Pennsylvania: Technological Publishing Company.
- Pollio, V.(2013).The ten books on architecture,translated by Morris Morgan, New York: PDF Books World.
- Rabinovitch, C.(2002).Surrealism and the sacred power. Eros, and the Occult in Modwen Art, Colorado: Westview Press.
- Roy, R.(2006).Earth-Sheltered Houses: How to Build an Affordable Underground Home: New Socity Publishers, Gabriola Island.

- Shaler, W.(2014).Communication on the language, manner,s and custom of the berbers of African, U.S.A: Andesite Press.
- Sitte, C.(2013).The Art of Building: City Building According to Its Artistic Fundamenyals, U.S.A, Estford: Martimo Fine Books.
- Venturi, D., Izenour, S.(1986).Learning from Lasvegas: The fourgotten symbolism of architecture form, London: MIT press.
- **مواقع إليكترونية:**
- العطو، يزيد.(2012). الزريبة ذاكرة موزونى والصوف فى المغرب بين الوظيفة والجمال. www.mehwar.org اطلع عليه بتاريخ 2021/7/14م.
- أيـت الفقيـه، لحسـن.(2018). الرمـوز الثقافيـة الأمازيغيـة فـى المغـرب بـين الوظيفـة والجمالwww.alhewar.org اطلع عليه بتاريخ2022/11/6م.
- بـن عيـاد، صـلاح.(2021). مثلثـات الأمازيغيـات ودوائـرهن. https:// raseef22.net اطلع عليه بتاريخ 2022/5/12م.
- المركـــز الثقـــافى الأمـــازيغى.(2015). المعتقـــدات الأمازيغيـــة التونســـية، www.glunis.com اطلع عليه بتاريخ 2021/12/1م.